وأنا أكتب بالعيدان المحترقة

فوق الحائط .

لكي نفهم هذا المقطع بكامل ما يعني ينبغي تأويله على صورة ايمائية — MIMETIC — وفي الواقع لا بد من تأويل المواقف التي يخلقها الشاعر في قصائده على صورة ايمائيه لان معين بسيسو كاتب مسرحي وليس شاعرا فقط . وهو احد الاعمدة الغائرة البارزة في المسرح الشعري الحديث . في التأويل الايمائي تظهر عيدان الثقاب الخمس على انها خمس أصابع يحرقها الشاعر كلها في لهيب الحياة . اما صورة « ظهري للحائط » فتعني انه ظل يحارب حتى حوصر . وبالتالي فان صورة « وجهي للحائط » تعني انه اسر وسوف يعدم — لكنه ظل يكتب بأصابعه المتآكلة المحترقة فوق الحائط . ان هذه الصور حين نفهم على هذا النحو تكشف موقف الشاعر من الحياة ، مثلما تكشف تقنيته الفنية الشبيهة بتقنية الحلم الذي يستخدم التكثيف والازاحة للرمز بما يدل عليه الحلم . وبما ان المسرح والايماء يرجعان الى طقوس شعائر تضرب في أغوار الزمان ، فان تمثيلهما اللفظي في الشعر يلتقي معهما في نفس النقطة من اللاشعور . وهذا ما يجعل السرد مؤثرا في القارىء ، لانه سريع ويتم على مستويين :

ظاهري وباطني . والتفاوت بين المستويين يخلق منظورا هو البعد الثالث الذي يعمق القصيدة ويحول السرد من تصوير سطحي للواقع والحركات الواقعية الى حركات ايمائية سريعة ورمزية . وهذا المنظور بالذات هو الذي يقيم الفارق الهائل بين شعر الواقع وشعر الحقيقة . فكل شعر في هذا الديوان وفي غيره يقتصر على تصوير الواقع او اعطاء معناه هو شعر الواقع ، اي شعر ساقط فنيا . وكل شعر قادر على التكثيف الذي يخلق عدة مستويات للتبصر هو شعر الحقيقة ، اي هو الشعر . ولو تأملنا كل الامثلة التي أوردناها عما اسميناه « شعر الحقيقة » لوجدناه يحقق ذينك المقياسين : التكثيف والازاحة ثم خلق المنظور بالتفاوت بين مستويات الرؤية . بهذا المنهج يمكن ان نفهم صورة شاعر الحقيقة عند معين بسيسو . انه الشاعر الذي يستهلك كل طاقاته وهو يكتب فوق الجدار الذي اقامته سلطات القمع في وجهه . وبالتالي فقد أصبح الجواب واضحا عن السؤال الذي يطرحه الشاعر في المنظر الاخير :

لن يبتلعك ، لن يلفظك

على الشاطىء حوت

« يونس » قد مات ومات الحوت

ووحيد انت على سطح المركب

والمركب يغرق

بقيت فوق المائدة زجاجة خمر

وزجاجة حبر

ماذا تفعل ؟